توظيف النص القرآنيّ في خطاب الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام)

م.م. عبد الحي عبد النبي العبادي

جامعة البصرة-كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

الملخص

تعدُّ هذه النماذج من الشواهد القرآنيَّة التي كانت للإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) لمسةٌ في توجيهها وبيان مصاديقها، درستاها دراسة موضوعية معتمدينَ الوصف والتحليل في تتبع هذه الشواهد بما ينسجم ومصاديق الدرس القرآنيّ، آخذين بنظر الاعتبار آراء العلماء الأعلام في توجيه هذه النصوص ومناقشتها، مستفيدين من كتب التفسير واللغة والمعجمات، والسِّير وغيرها من أمهات الكتب التي لا ينبغي لكلِّ باحث أنْ يغفلها.

The employment of Quran text in the speech of Imam Hassan al - Mujtaba (peace be upon him)

Assist lecturer : Abdul Hay Abdul Nabi Abadi
College of Education for Human Sciences
Department of Arabic

Abstract

These samples are considered from the quranic evidence of Imam al-Hasan al-Mujtaba (peace be upon him) ,which Imam al-Hassan al-Mujtaba had a role in directing them and showing their credibility , however we studied them as an objective study depending on the description and analysis in following up these evidence according to the facts of Quranic Text . Taking in consideration the opinions of the great scholars in directing and discussing these texts as well as taking the benefit from the books of interpretation, language , lexicons, biographies and other origins of books which should not be ignored by any researcher .

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الانسانية
Journal of Basra Research for Human Sciences

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين، وبعد:

حَظِيَ القرآن الكريم بأهميَّة كبيرة في تراث أهل البيت(عليهم السلام) في مجال تفسير مبهمات الأمور وغوامضها، وبيان أحكامه للناس؛ لكون القرآن الكريم دستور حياة ونظام لا يخالجه نقصٌ أو خلل، به ترتقي الشعوب والأمم إذا ما جعلته نهجا ومسارا تقتدي به، لكن القرآن وحده لا يمكن أنْ يؤدي الأهداف التي خطَّها نبينا الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم)، فلابدَّ من موجّه يكون بكتاب الله عليما، ووارثاً لمقام النبي يختاره الله ويصطفيه؛ كي لا تقع الأمة في مهاوي الردى، والإمام الحسن المجتبى(عليه السلام) بكلِّ ما يمتلكه من مؤهلات هو امتداد لذلك النسب الرفيع الذي يُعْزى إلى أرومة المجد وسلالة النبوَّة، أخذ عن جدِّه (صلى الله عليه وآله وسلم) وأبيه أمير المؤمنين(عليه السلام) كل ما لهما من خصال، لكنَّ الأقدار شاءت أنْ تجعل دوره في أصعب المراحل التي مرَّ بها التاريخ الإسلامي الذي لعبت فيه الأهواء والعصبيَّة القبليَّة وحبّ الرياسة بالاستيلاء على مقدَّرات المسلمين بأي طريقة تكون، ومهما يكن الثمن، ولو بتحطيم كل ما بناه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في مدَّة دعوته المباركة.

لم يكن من الإمام الحسن (عليه السلام) إلَّا أنْ يتصدّى لباطل بني أمية عن رباطة جأش وصلابة في دين، ولا يخضع لمؤامراتهم، وأكاذيبهم التي جنّدوا لها الرجال والأقلام، فالحرب كانت قاسية مع الإمام(عليه السلام)، فقد جمعوا كلَّ حطب وألهبوا عليه كُلَّ فتنة، ونسبوا له كُلَّ موبقة، ولم يكتفوا بهذا فحسب وإنَّما عمدوا إلى تغييب آثاره وطمس معالمها، حتى بدت سيرته(عليه السلام) ضبابية الصورة شاحبة الألوان؛ نتيجة لخبثهم المستمر تجاه أئمة أهل البيت(عليهم السلام) عموما، والإمام الحسن(عليه السلام) خصوصا، فما كان من بعض المخلصين إلَّا أنْ يشمِّروا عن سواعد الجد، ويهبوا لنصرة هذا الإمام المظلوم ويكشفوا الستار عن حقبة مظلمة بالبحث والتدقيق فيما جاءنا من نصوص وروايات، والتنقير في أمهات الكتب، للكشف عن جانب ولو يسير من معاناته(عليه السلام) مع خصومه، فجاءت مؤلفات ودراسات تستحق الثناء انتفع منها الباحث في إثراء بحثه هذا، وما هذه الثمرة إلَّا خطوة خطاها الباحث في اتجاه جمع النصوص القرآنيَّة التي كانت للإمام الحسن المجتبى(عليه السلام) بصمةٌ في تفسيرها وتأويلها، وبيان سبب نزولها، فجاءت هذه الدراسة بمبحثين **الأوَّل:** درسنا فيه الآيات المتعلقة بأهل البيت(عليهم السلام)، **والثاني:** الآيات المتعلقة بخصومهم، سعى الباحث جادّا مُجدّا في تتبع هذه الآيات في مظان الكتب ودراستها دراسة وصفيّة تحليليّة تبين لطائف النص القرآنيّ وجماليَّاته، علَّها تكون حسنة في صحيفة أعماله يوم تتطاير الصحف وتخف الموازين.

المبحث الأول: الآيات المتعلقة بأهل البيت (عليهم السلام)

إن القرآن الكريم حافل بصور التكريم والتشريف للرعيل الأوّل الذين عضدوا الدور الرسالي للنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وواسوا وبذلوا الكثير من أجل الرفعة لهذا الدين العظيم، ولعلَّ من السابقين الذين كان لهم السهم الأوفر هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في مواطن عديدة، ومن هذه المواطن ما أشار إليها الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) في تفسير موضع من المواضع القرآنيّة في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[هود:١٧]، فقد أشار الإمام الحسن (عليه السلام) في إحدى خطبه إذ قال: ((...فكان أبي (عليه السلام) أول من استجاب لله تعالى، ولرسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأوَّل من آمن وصدَّق الله ورسوله، وقد قال الله تعالى في كتابه المنزل على نبيه المرسل: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ﴾، فرسول الله الذي على بينة من ربه، وأبي الذي يتلوه، وهو شاهد منه))[١].

إنّ هذا التفسير والإشارة التي سلّط الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) الضوء عليها لم تكن وحدها فحسب، وإنَّما عضّد قوله عبر قرينة روائيَّة أخرى من سنّة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) تمثل في العلاقة الدلالية ما بين الضمير في عبارة(شَاهِدٌ مِنهُ)، وما بين الضمير في عبارة ((رجل مني)) في قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم أمرَ الإمام عليا (عليه السلام) بالمسير إلى مكة وإبلاغ سورة براءة في قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((سر بها يا علي، فإنّي أُمرتُ أن لا يسير بها إلَّا أنا أو رجل منّي، وأنت هو يا علي))[٢]، وعلى هذا الأساس يكون الإمام علي(عليه السلام) من رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، ورسول الله منه، وفي هذا الملحظ يتجلى المنهج الروائيّ عند الإمام الحسن (عليه السلام) في تفسير الآيات الكريمة.

عند التدقيق في دلالة (تَلا) في قوله تعالى: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ﴾نجد أنَّها تحمل معنى الإتِّباع، يتلوه أي: يتبعُهُ[٣]، وقد تكون إشارة الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام) أكثر مطابقة لهذه الدلالة، والإتباع عن طريق الاقتداء قد يشكّل ملمحاً دلاليّاً آخر بوساطة العلاقة ما بين مفهوم الشاهد الذي يعود على أمير المؤمنين(عليه السلام)، وما بين قوله تعالى في ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى﴾، الذي عُدَّ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ (مع مراعاة الفارق الزمنيّ بينهما إلَّا أنّ عنصر الهداية متحقّق في من يقتدي بهما.

وقد تكون هناك إشارة في دلالة العطف في حكم الهداية ومصداقها لمن هو سابق في قوله:﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى﴾ (على اللاحق زماناً في قوله: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ﴾ بوساطة الضمير في:﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾إضاءة موحية مفادها أنّ الكتب السماوية السابقة مهّدت للرسالة المحمديَّة الخاتمة وروادها الأوائل.

ولا يخفى ما للتنكير في (بيِّنة)، و (شاهد)؛ لما فيهما من دلالة التفخيم[٤]، وإضفاء هذه الدلالة تعطي التعبير القرآني زخماً معنوياً مضافاً يناسب المقام التشريفي الذي عزاه الإمام الحسن (عليه السلام) إلى جده وأبيه(صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) وهذا التشريف أشار إليه الفخر الرازي(٦٠٤هـ) في واحدٍ من الوجوه التي فسّرت معنى الشاهد بقوله: ((إن المراد هو علي بن أبي طالب(رضي الله عنه)، والمعنى أنه يتلو تلك البينة وقوله (منه) أي هذا الشاهد من محمد وبعضٌ منه، والمراد منه تشريف هذا الشاهد بأنَّه بعض من

محمد(عليه السلام)))[٥].

توجيه هذا الشاهد القرآنيّ من الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام) بهذا الشكل وتعزيز قوله بحديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يؤكد على أهميَّة الذكر لهذين الشخصين العظيمين(صلوات الله وسلامه عليهما) بغض النظر عن المحذوف وهو الخبر للاسم الموصول (مَن) والتقدير: أفمن كان على بينة من ربه كغيره، أو كمن ليس كذلك[٦]، ولعلَّ في الحذف تسليط الضوء أكثر على الشاهد؛ لما له من أهمية بعطفه مباشرة بعد حذف الخبر ولهذا شكّلت شخصية الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) دوراً مهما في المراحل الأولى من الدعوة الإسلاميَّة.

ويبدو أنّ هناك ملمحاً إضافياً مهماً في سياق الآية المباركة تجلّى في عدول الخطاب من المفرد إلى الجمع عبر الالتفات في قوله تعالى: (**أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ**(، فدلالة إفراد الضمائر في قوله تعالى: **(أَفَمَنْ كَانَ)** وبعد ذلك الانتقال إلى دلالة الجمع في **(أُولَئِكَ)** تكثف المعنى التعبيري الذي يوحّد الخطاب في سياق الإفراد ومطابقته لما أشار إليه الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام) في بيان من كان على بينة من ربه وهو جدّهُ المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) والشاهد أمير المؤمنين(عليه السلام)، ولم يأتِ التعبير في غير القرآن بقوله: أولئك يؤمنون بهما ؛ لأنَّ الشاهد هو تابع أيضاً في الحكم لا متبوعاً على نحو الاستقلالية عن الذي كان على بينة من ربه، وهذه المطابقة في الضمائر أعطت (الشاهد) منزلة التكريم والرفعة في إفراده من جهة ودخوله في حكم من ينضوي تحت دلالة الإشارة في (أولئك).

فضلا عن دلالة هذا الشاهد التي تحمل في طياتها معنى الحضور مع المشاهدة، إمَّا أن تكون بالبصر، أو بالبصيرة[٧]، فالتعبير القرآنيّ أعطى الشاهد زخماً دلالياً عبر التلاوة التي جاءت بصيغة المضارع الدالة على الحدوث والتجدد فجعلت منه الظهور بمظهر المواكب والمتابع للحوادث والعالِم بها، ليس هذا فحسب وإنَّما لا بد لهذا الشاهد من معرفة الشيء الكثير عن الكتب السماويّة الأخرى، بل المعرفة المطلقة بهذه الكتب، ومنها كتاب موسى الذي عُبر عنه بأنه**(إِمَامًا وَرَحْمَةً)**، وهذا الأمر يتطلب صحبة مستمرة للنبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، وقابلية على الفهم والتدبير؛ لأنَّ القرآن الكريم لم يكن يخاطب زماناً أو مكاناً على وجه الخصوص، بل اتّسم بشموليّة المعارف من جهتي الزمان والمكان.

لنا أن نقف أيضاً على مورد آخر من القرآن الكريم أشار فيه الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام) إلى معنى اقتراف الحسنة في قوله تعالى: **(ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ([الشورى:٢٣]** في خطبة له(عليه السلام) بعد شهادة أمير المؤمنين(عليه السلام) إذ قال: ((لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل، ولا يدركه الآخرون بعمل ، لقد كان يجاهد مع رسول الله فيقيه بنفسه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يوجهه برايته فيكنفه جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره ، فلا يرجع حتى يفتح الله على يديه

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٣ (أ) – المجلد ٤٣ – السنة ٢٠١٨

. ولقد توفي عليه السلام في الليلة التي عرج فيها بعيسى بن مريم عليه السلام ، وفيها قبض يوشع بن نون وصي موسى، وما خلف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم فضلت من عطائه ، أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله، ثم خنقته العبرة فبكى وبكى الناس معه .

ثم قال : " أنا ابن البشير ، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه ، أنا ابن السراج المنير، أنا من أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، أنا من أهل بيت افترض الله حبهم في كتابه فقال عز وجل : **(قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا(**، فالحسنة مودتنا أهل البيت))[٨].

اقتراف الحسنة فعل الطاعة. والمودة لآل محمد(صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، وسائر الحسنات لها توابع[٩]، ومن لطيف الكلام ما نقله حبيب الله الخوئي عن الفخر الرازي في تفسيره الكبير ما نُقل عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) أنَّه قال: ((من مات على حبّ آل محمّد مات شهيدا ، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مغفورا له، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات تائبا ، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مؤمنا مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد بشّره ملك الموت بالجنّة ثمّ منكر ونكير، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد يُزفّ إلى الجنّة كما تُزفّ العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد فتح له في قبره بابان إلى الجنة، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد جعل اللّه قبره مزار ملائكة الرّحمة، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات على السنّة والجماعة. ألا ومن مات على بغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة اللّه، ألا ومن مات على بغض آل محمّد مات كافرا، ألا ومن مات على بغض آل محمّد لم يشمّ رايحة الجنّة، قال: هذا هو الذي رواه صاحب الكشّاف.

وأنا أقول: آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم هم الذين يؤول أمرهم إليه فكلّ من كان أمرهم إليه أشدّ وأكمل كانوا هم الآل ولا شكّ في أنّ فاطمة وعليّا والحسن والحسين كان التعلّق بينهم وبين رسول الله أشدّ التّعلّقات، وهذا كالمعلوم بالنّقل المتواتر فوجب أن يكونوا هم الآل))[١٠]، فالحسنة مودة أهل البيت(عليهم السلام) بدلالة توجيه الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام) ليس هذا فحسب، وإنَّما((يؤيده ما في روايات أئمة أهل البيت عليهم السلام أن قوله: چقُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا (إلى تمام أربع آيات نزلت في مودة قربى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولازم ذلك كون الآيات مدنية وأنها ذات سياق واحد وأن المراد بالحسنة من حيث انطباقها على المورد هي المودة))[١١].

جاءت جملة **(وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً(**في سياق مؤكد للمودة[١٢]، فهي ذُكرت عقيب ذكر المودَّة في القربى، فدلّ التعبير القرآنيّ على أنّ المقصود هو التأكيد على المودَّة تماماً مثلما أشار الإمام الحسن(عليه السلام) في توظيف هذا الشاهد القرآنيّ وبيان منزلة أهل البيت(عليهم السلام)، فالإمام الحسن(عليه السلام) لم يقف عند مفردة (المودَّة) في قوله تعالى: **(قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى(**بِعدِّها عنواناً ثابتاً فيهم وحكماً مقطوعاً به في حقّهم، وإنَّما أشار (عليه السلام) إلى جزئيَّة يمكن أن تكون هي بداية في اكتساب الأعمال، وهو اكتساب الحسنة المرتبطة بتلك المودة سابقة الذكر في سياق الآية المباركة، وبهذا المعنى تكون المودَّة

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٣ (أ) – المجلد ٤٣ – السنة ٢٠١٨

هي أول الحسنات التي يُثاب عليها المؤمن وبحَسَبها تكون الزيادة ومضاعفة الأجر.

إنّ اكتساب هذه الحسنة منوط بجزاء(**وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا**)وهذا الجزاء هو مضاعفة الحسنات، وهذه المضاعفة مرتبطة بقيمة هذا العمل الاعتباري على المستوى القلبي، أو العملي، وإشارة الإمام الحسن(عليه السلام) تتضمن دلالة التخصيص لهذه الحسنة المقترنة بمودة أهل البيت(عليهم السلام) أو تأكيداً عليها، وبهذا المعنى تكون باعثاً للأمة في تحديد المسار الصحيح لها وضمانة لعدم الوقوع في مزالق الانحراف العقديَّة.

هناك من أشار إلى أنَّ دلالة الحسنة حملت معنى العموم في أي حسنة كانت، لكن عند إمعان النظر والتدقيق في دلالة الآية المباركة يمكن ملاحظة القرينة السياقيّة، فذكرُ الحسنة جاء بعد المودَّة، وهذا التأخير في السياق ألبسها دلالة التبعيَّة، وتخصيصها بمن شملهم حكم المودة وهذا الارتباط ما بين الحسنة، والمودَّة أعطاها معنى الخصوص وأضفى عليها لونا من ألوان التخصيص الدلاليّ بوساطة قرينة السياق القرآنيّ للآية المباركة، إذ إنَّ المودَّة أعطت حكماً أولياً في من يجب أن تكون المودة، وكانت سائر الحسنات لها توابع[١٣]، وبهذا المعنى تكون إشارة الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) خصصت الجانب الدلالي في التعبير القرآنيّ في الدلالة الحسنة في هذا الموضع.

الحسنة والصالحات من الأمور المحمودة عقلاً وعرفاً، فحثَّت الشريعة المقدَّسة عليها والترغيب فيها، فجاءت مقترنة بدلالة الاقتراف، والاقتراف اكتساب حسناً كان، أو سوءاً ويقع في السيئات أكثر مما هو في الحسنات[١٤]، وهذا ما ذهب إليه الراغب(٥٠٢هـ)، إلَّا أنَّ هذه الآية تُعزّز من دلالتها في الحسنات، وبهذا المعنى تلتقي مع دلالة الكسب أيضاً[١٥]، وهناك ملمحٌ دقيقٌ في دلالة الكسب فهو يقع في الشيء الذي تأخذه لنفسك ولغيرك[١٦]، ولكن الاقتراف يكون لكَ، مع ملاحظة جهة القرب والإحاطة في الشيء[١٧]، وهذا الأثر يتطلبُ قناعة واختياراً في استجلاب الخير ومراميه على وجه الخصوص.

وقد قُرئ، الفعل (نزد) في سياق الآية المباركة بالياء (يزد)[١٨]، ولا يخفى ما لدلالة النون من العظمة[١٩]، والتكريم، والفارق الدلالي بيّن وجلي في دلالة النون من تعظيم وتكريم، فالمقام كلّهُ جاء في سياق فضل أهل بيت النبوة(عليهم السلام) وفضيلتهم، وترسيم الجانب السلوكيّ في العمل والقلب تجاههم، فصارت محبتهم رأس كل فضيلة ومنبع كلّ إحسان، وبداية هذا الإحسان فيهم ومنهم **﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا**)وعلى قدر هذه الحسنة تكون المثوبة والزيادة.

وفي إشارة إلى اتّفاق الصيغة من جهة الإفراد والتعريف والتأنيث في (الحسنة)، و(المودة) في سياق الآية المباركة ربّما تعدُّ قرائن لفظيَّة تُعزّز من وحدة الموضوع في إشارة إلى الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام) وعائديَّة اللفظتين على أهل البيت(عليهم السلام)، فتشكّل دافعاً في الحثّ على حبّهم، بلا شك حبّ الرسول وآله (صلوات الله وسلامه عليهم) من أعظم الحسنات وأسماها.

المُلاحظ من طريقة توجيه الإمام الحسن(عليه السلام) للآية القرآنيّة، أنّه لا يكتفي ببيان المعنى فقط، والمصداق في سبب النزول، وإنّما يُعضِّد ما يذهب إليه عبر نصوص قرآنيَّة أخرى يجعل منها شاهداً على

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٣ (أ) – المجلد ٤٣ – السنة ٢٠١٨

ما يقول ومن هذه الأمثلة ما روي من ((أنَّ رجلا دخل مسجد الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) ، فإذا رجل يحدث عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) قال : فسألته عن الشاهد والمشهود ، فقال : نعم الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة. فجزته إلى آخر يحدث عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فسألته عن ذلك فقال: أما الشاهد فيوم الجمعة، وأما المشهود فيوم النحر. فجزتهما إلى غلام كأنَّ وجهه الدينار، وهو يحدث عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، فقلت: أخبرني عن شاهد ومشهود؟ فقال: أمَّا الشاهد محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)، وأمَّا المشهود فيوم القيامة، أما سمعته سبحانه يقول: **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا** ([الأحزاب:٤٥] وقال :**(ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ**([هود:١٠٣]. فسألت عن الأوَّل فقالوا: ابن عباس. وسألت عن الثاني فقالوا: ابن عمر. وسألت عن الثالث فقالوا: الحسن بن علي(عليه السلام)))[٢٠].

في هذا المقام ينتهج الإمام الحسن(عليه السلام) منهجاً تفسيرياً واضحاً ينتمي إلى مدرسة أصيلة في تفسير القرآن الكريم بوساطة تفسير القرآن بالقرآن عبر رصف الشواهد القرآنيَّة التي تعضد ما يذهب إليه، ولعلَّها من أصدق المدلولات الروائيَّة التي يمكن أن يحتكم إليها المفسر؛ كي تكتسب حكم القطع في الدلالة، وجذور هذه المدرسة مستوحاة من المنهج القرآنيَّ الذي نشأ عليه في مدرسة النبوة التي أرسى قواعدها جدّه المصطفى(صلى الله عليه وآله وسلم) وكان الأئمة (عليهم السلام) خير وريث لهذا المنهج الأصيل.

الخوض في معنى**(وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ)** من غير الطريق الذي سلكه الإمام الحسن(عليه السلام) فقد كَثُر الحديث في معانيها و((تعددت الأقوال والتصاريف في معنى الشاهد والمشهود هنا، وقد أنهى بعض المفسرين الأقوال إلى ٤٨ قولاً، منها ١٦ في معنى الشاهد، و ٣٢ في معنى المشهود))[٢١]. إلَّا أنّ ما ذهب إليه الإمام الحسن(عليه السلام) أكثر دقة؛ لوجود القرائن والشواهد على صحة ما يقول، زد على ذلك أن هذا التفسير وبهذا المعنى ورد أيضاً بأسانيد مختلفة[٢٢]، والمعنى فيها واحد.

إنّ تفسير الإمام الحسن (عليه السلام) لمعنى الشاهد والمشهود، وعودتهما على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنَّه شاهد في ذلك اليوم المشهود – القيامة– لما فيه من مشاهد وعجائب لا تخطر على بال أحد، وهذا المعنى قد يتفق مع دلالة الصيغة في (شاهد) و(مشهود) التي جاءت بصيغة النكرة عَبْرَ الإبهام في الوصف والذي يُدْخل الموصوف في باب المبالغة في كثرة المشاهد[٢٣]، وتعظيم الشاهد وتكريمه بعلوّ المنزلة، وبهذا المعنى تكون دلالة الصيغة مطابقة تماماً؛ لما في القرآن الكريم من سمات تعبيريَّة تمثِّل غاية في الدقّة، لرسم الصورة التي تفوق الوصف لما في القيامة من أهوال ومشاهد.

توجيه لفظ (شاهد) في قول الإمام الحسن(عليه السلام) بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و(مشهود) بالقيامة يلتقي أيضاً في دلالة صيغة (فاعل) وما تكتنز من معانٍ وقيم دلالية في الحضور، سواء أكان عن طريق البصر، أم البصيرة[٢٤]، إلَّا أنّ الصيغة في فاعل تدل على قيام المعنى في الذات فقط بلحاظ جهة الحدث[٢٥]، وهذه الدلالة متساوية مع الجانب الحسي في الشاهد، ومجيء هذه اللفظة بصيغة (فاعل) تتفق مع سياق الآية ومضمونيَّة القسم العائد على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ لو جاء التعبير بصيغة (فعيل) على سبيل التمثيل، لما أدى المعنى المطلوب؛ لما في صيغة (فعيل) من معنى الثبوت واستقراره

في الذات لتكون صفة ثابتة تنحو باتجاه المبالغة والتعظيم[٢٦]، وهو ما يتناسب مع ما جاءت به هذه الصيغة في التعبير القرآنيّ وعائديتها على الله سبحانه وتعالى في عدة شواهد قال تعالى: **(وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ**[آل عمران:٩٨]، وقوله تعالى: **چإِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**[الحج:١٧]، وفي قوله تعالى:**(قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ**[الأنعام:١٩]، وبهذا المعنى نلحظ المناسبة في التعبير القرآنيّ لصيغة(فاعل) لدلالتها على مجرد الحدوث وتحققه في الشاهد وقيام الشهود في اليوم الموعود، فيكون مشاهداً على من حوله عن علمٍ واطلاع.

من أبرز مصاديق المشاهدة قد تنحصر في الأشياء المحسوسة، وهذه الحقيقة ربما تكون جليّة وظاهرة في دلالة السياق وتوظيف القسم بالكواكب في السماء ومنازلها، لما لها من نور وحركة في طلوعها ومغيبها[٢٧]، وهذه الصورة تمثِّل عالماً مليئا بالمحسوسات تحيل إلى شاهد آخر ينطلق من مفهوم غيبي أنبأ عنه القرآن الكريم في الآية الثانية وهو اليوم الموعود الذي لا يمكن أنّ يدرك بطريقة الحسّي؛ لأنّه مفهوم غيبي محض، وبهذا المعنى يكون التعبير القرآنيّ أسَّس لثنائيَّة عَبر مفهومين أحدهما مدرك محسوس، والآخر من مبتنيات الغيب أقسَمَ بها وعلى التعاقب بغض النظر عن الغاية من القسم؛ ليكون في القَسَم الثالث بُعداً مشتركاً وجامعاً لهيأة الشاهد المحسوس، والمشهود الذي يُعدّ صورة من صور الغيب المحض، وهذا ما ذهب إليه الإمام الحسن(عليه السلام) في تفسيره.

ثمة جامع مشترك لهذه الأقسام في سياق الآيات المباركة، فالسماء تحاكي نظاماً دقيقاً وحسابات لا تقبل الخلل والنقصان، واليوم الموعود يوم حساب لا تُغادر فيه صغيرة ولا كبيرة إلَّا وقد أُحصيت، والشاهد والمشهود سمة من سمات وقوع الأحكام التي ينبغي أن تكون دقيقة ومطابقة على وفق نواميس وأحكام[٢٨]، وهنا تجدر الإشارة إلى حقيقة مفادها، أنّ كل ما يقوم به الإنسان في سجل وسيحاسب عليه بشكل دقيق جداً بمحضر النبي العظيم (صلى الله عليه وآله وسلم) وستشهده الخلائق من ملائكة وغيرهم.

أعطى العطف ورتابته زخماً عظيماً للذوات المقسم بها، والشاهد والمشهود ((معطوفان على السماء والجميع قسم بعد قسم على ما أريد بيانه في السورة وهو الوعيد الشديد لمن يَفتن المؤمنين والمؤمنات))[٢٩]، وهذا الملحظ السياقيّ في رتابة القسم أثرى دلالة الشاهد والمشهود وعائديتهما على النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، والقيامة وهذا ما ذهب إليه الإمام الحسن (عليه السلام)؛ لبيان عظيم تلك المشاهد في القيامة وقيمومة جدّه المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) عليها لتبرز جانباً مهماً وهو وعيد أولئك الكفار بعدهم مصداقا آخر ينطبق مع من جاءت الآيات في سرد حالهم؛ بوصفها نتيجة لأعمالهم التي أوقعوها بتلك الفئة المؤمنة في الحياة الدنيا، فينطبق هذا المشهد القرآنيّ مع دلالة المشاهد في قول الإمام الحسن (عليه السلام) وعودته على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ((لشهادته أعمال أمته ثم يشهد عليها يوم القيامة))[٣٠]، قال تعالى: **چوَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**[النحل:٨٩]، ولا يمكن إنكار هذه الحقيقة، لأنَّ القرآن الكريم صرّح بها في قوله تعالى: **چفَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا** [النساء:٤١].

ولحذف جواب القسم في هذا السياق القرآنيّ المؤكَّد بتعدد الأقسام يسلّط الضوء على عظمة الشاهد، وعلو مقامه، وهو النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) – بحسب إشارة الإمام الحسن (عليه السلام)، فتقدير الجواب: ((أقسم بهذه الأشياء أنهم ملعونون كما لعن أصحاب الأخدود))[٣١]، وهذا الحذف مع الإبقاء على القسم يُضفي نوعا من التسلية لقلب النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ، وتثبيت المؤمنين في مواجهة مشركي مكَّة، وليحملهم على التصبر قبالة الأذى المستمر من المشركين.

المبحث الثاني: الآيات المتعلقة بخصوم أهل البيت(عليهم السلام)

عاش الإمامُ الحسن المجتبى(عليه السلام) في حقبةٍ تعدُّ من أصعب المراحل التي مرّ بها أئمة أهل البيت(عليهم السلام)، نتيجة لطبيعة الظروف السياسيَّة والاجتماعيَّة والعقديَّة، وكتب التاريخ والسير كفيلة بتسليط الضوء على تلك المرحلة[٣٢]، ولعلّ في المحنة التي عاشها الإمام(عليه السلام) بعد الصلح الأثر المبالغ في تغييبه عن الساحة الإسلاميّة، وتَعْفية آثاره العلميَّة عَبرَ الممارسات الدعائيَّة؛ لتشويه صورة الإمام(عليه السلام)[٣٣]، وبيان عدم أهليته وبمختلف الوسائل المتاحة للسلطة الحاكمة آنذاك.

ومن أبرز الآثار العلميَّة للإمام(عليه السلام) جهده القرآنيّ، فالقرآن الكريم من أبرز مصاديق الإحتكام عند المسلمين، وما له من أثر روحي في نفوسهم، وبما أنّ القرآن الكريم كان واحداً من أهم الأُسس التي حاربت الظلم والإضطهاد ورسم النهج الصحيح في تعاملات الفرد تجاه طريق الحقّ، فكان لتفسيره وتأويله الأثر البالغ في فضح الظلمة والطغاة، فعملت السلطة والأهواء وغيرها من الأمور على طمس بعض الحقائق، وهو ما جعل الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام) يتصدى بقوَّة من أجل الحفاظ على ثوابت الدين الحنيف مع كل ما كان يعانيه من تعتيم وتغييب لشخصه وآثاره، ومع ذلك جاءنا الشيء الكثير من الإشارات القرآنيَّة في كلامه، ومراسلاته، وحجاجه مع الخصوم، آخذاً بنظر الاعتبار حال أولئك المنافقين، ومدى مطابقة المقال للمقام الذي هو فيه منسجما مع حال الخصومة القائمة في حجاجه(عليه السلام) [٣٤]، من منطلق قوة ورباطة جأش.

فضلا عن المحافل التي كان يراد منها الانتقاص من شخصه العظيم، ومنها المحفل الذي عقده معاوية بن أبي سفيان وجماعة من بني أمية، إذ أرادوا توهين الإمام(عليه السلام) والتعرض لأبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام) في حديث طويل أورده صاحب بحار الأنوار[٣٥]، وقد التحق بذلك الجمع مروان بن الحكم إذ قال: ((أنت يا حسن السبَّاب رجال قريش؟ فقال[عليه السلام] : وما الذي أردت؟ فقال: والله لأسبّنّك وأباك وأهل بيتك سبّا تغنى به الإماء والعبيد، فقال الحسن بن علي (عليهما السلام): أما أنت يا مروان ، فلست أنا سببتك ولا سببت أباك ، ولكن الله(عز وجل) لعنك ولعن أباك وأهل بيتك وذريتك، وما خرج من صلب أبيك إلى يوم القيامة على لسان نبيه محمد (صلى الله عليه وآله).

والله يا مروان ! ما تنكر أنت ولا أحد ممن حضر هذه اللعنة من رسول الله(صلى الله عليه وآله) لك ولأبيك من قبلك، وما زادك الله يا مروان بما خوفك إلا طغيانا كبيرا، صدق الله وصدق رسوله، يقول: **(وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا)** [الإسراء:٦٠]، وأنت يا مروان وذريتك الشجرة الملعونة

في القرآن عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فوثب معاوية فوضع يده على فم الحسن وقال: يا أبا محمد ما كنت فحاشا، فنفض الحسن (عليه السلام) ثوبه وقام وخرج))[٣٦].

هذا التوظيف للنصّ القرآنيّ واتخاذه مرتكزاً حجاجياً مع الخصوم كان منهجاً نبوياً سار عليه أئمة أهل البيت(عليهم السلام)، والرعيل الأوّل من السلف الصالح وهذا الشاهد القرآنيّ لم يكن الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام) الناقل الوحيد له وهو يعزوه إلى بني أميّة[٣٧]، وإنَّما هناك من رواه بطرق متعددة في مروان وبنيه، أو في بني أمية عامَّة[٣٨]، ولم يكن تأويل الشجرة الملعونة في بني أمية من عنديات الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام) وإنَّما هذا التأويل يعود إلى ((رؤيا رآها النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) في منامه أن قروداً تصعد منبره وتنزل، فساءه ذلك، واغتمّ به))[٣٩]، وهذه القرود التي كانت تنزو على منبر النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) فسروها ببني أمية الذين جلسوا مكان النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) الواحد تلو الآخر[٤٠].

ومن هذه ((الرؤيا والشجرة الملعونة فإنّ الآيات السابقة كانت تصف الناس أنّ آخرهم كأولاهم وذيلهم كصدرهم في عدم الاعتناء بآيات الله سبحانه وتعالى وتكذيبها، وأن المجتمعات الإنسانيَّة ذائقون عذاب الله قرية بعد قرية وجيلاً بعد جيل بإهلاك، أو بعذاب مخوف دون ذلك))[٤١]، وأن هذه الشجرة الملعونة تصفُ قوماً لهم صفة الشجرة في النشأة والنمو والتفرع من أصل خبيث وصفها القرآن الكريم بالفتنة[٤٢].

هذه الآية المباركة من الآيات المكية التي نزلت في مكة قبل الهجرة وهي تعدّ ملمحاً غيبياً أطلعه الله سبحانه وتعالى لنبيه الكريم قبل الهجرة المباركة وقبل بناء المسجد النبوي فتكون من مختصات النبي في إطلاعه على المغيبات، وهذه الشجرة المرتبطة بالرؤيا التي رآها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا تمت بصلة إلى الرؤى التي ذكرت في القرآن الكريم في قوله تعالى: **(إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤٣) وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ**[الانفال:٤٣-٤٤]، ولا في قوله تعالى: **(لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا**[الفتح:٢٧]، إذن هذه الآية المباركة إشارة غيبية مرتبطة بمسيرة الدعوة الإسلاميَّة وبرجال سيكونون مصدر قلق وخوف على الدين منهم أطلع الله(سبحانه وتعالى) نبيه بشأنهم وحالهم، وهو ما أشار إليه الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام) على نحو التذكير.

للتعبير القرآني خصائص متفرّدة بالنسبة للدلالة التركيبيّة والإفراديّة، فالقرآن الكريم لم يذكر شجرة ويلعنها إلَّا في هذا الموضع، وأمّا شجرة الزقوم التي وصِفتْ على أنَّها فتنة للظالمين في قوله تعالى: **(أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ**[الصافات:٦٢-٦٥]، لكون هذه الشجرة نوعاً من أنواع العذاب ولون من ألوان جهنم فلم تُذكر وهي ملعونة لا شجرة الزقوم ولا خزنة النار، لا بل أثنى الله سبحانه وتعالى على خزانة النار بقوله: **(عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** [التحريم: ٦]، ومن هنا يتبين أن الشجرة الملعونة هي غير تلك الشجرة التي جعلها الله فتنة للظالمين، فيكون قول الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام) منسجماً مع الدليل الروائي المنقول عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعائديَّة هذه الشجرة

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٣ (أ) - المجلد ٤٣ - السنة ٢٠١٨

على بني أمية عامَّة أو في بني مروان خاصَّة.

علاقة الآية الكريمة بما بعدها في قضية سجود الملائكة لآدم توحي بحجم التعالق الدلاليّ الذي يسلط الضوء على جانب الإغواء، وصراع الحق مع الباطل وأزليَّة هذا الصراع، أضف إلى ذلك التعبير القرآنيّ يلمع إلى حال مَن وصف بهذه الشجرة على أنَّهم ملعونون مطرودون من رحمته وما يعزز هذه الدلالة دلالة الوصف **(وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ (**، زد على ذلك التعبير بالجار والمجرور الذي أعطى هذا الملمح الدلاليّ سمة القطع في قوله **(فِي الْقُرْآنِ)**، وما بالك بالقرآن فهو الشاهد المصدَّق، وهؤلاء مُبعدون عن الخير ملعونون بسخط الله عليهم.

ودلالة اللعن من الله سبحانه وتعالى بالتأكيد تختلف عن دلالة اللعن من الناس، فالإبعاد عن الخير والسخط من الله تكون أشدّ مما لو صدرت من غيره تعالى، وأمَّا من الناس فدعاء وغضب على الملعون ليدخل في دائرة المُبعدين عن الله سبحانه[٤٣]، وليست هذه الشجرة أو من وصف بها لُعِنَ في القرآن الكريم، وإنَّما هناك آخرون لعنوا في القرآن كأمثال إبليس، واليهود، والمشركين، والمنافقين وغيرهم، وكلٌّ من هؤلاء لُعن لا بذاته وإنَّما بحسب الخطر الذي قد يسببه جراء انحرافه وانغماسه في الباطل وهذا الأمر جعل من الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام) لا يتوانى ولو للحظة في فضح أئمة الضلال ومن يسير في ركابهم، وحضوره في هذا المجلس لهو خير دليل على ذلك.

إنّ لفظة الشجرة وما تحمله من دلالات جاءت منسجمة تماماً في هذا الموضع القرآنيّ، لكونها تشير إلى جماعة معينة قابلة للنماء والظهور كالشجرة بتنوعاتها وأوراقها والجامع المشترك فيها السَّاق أي الأصل والمرتكز[٤٤]، وهؤلاء الملعونون على لسان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تجمعهم أسرة واحدة تعددت فروعها وتناسلت مع بقائها فكراً وعقيدة على ما هي عليه في العداء لآل محمد(عليهم السلام).

إنّ دلالة الثبوت عَبرَ الوصف في الشجرة الملعونة أعطى السياق قيمة تعبيرية مضافة في الثبات، والدوام في من جاء الوصف فيهم، أم في عَقِبهم ممن يتناسل عنهم ويحمل الوزر الذي حملوه وهو راضٍ بأفعالهم ومتبع لهم، ويكون داخلاً فيما دخلوا فيه من الطرد والإبعاد عن الخير، في حين نلحظ سياق الآية يختلف بالعدول في الصيغة عند التخويف **(وَنُخَوِّفُهُمْ)**، وهنا دلالة الاستقبال توحي بالتجدد مع الإستمرار؛ لكون هؤلاء مورد سخط وغضب من جانب الله (سبحانه وتعالى)، والسبب إصرارهم على العناد والعصيان، وشدة الغي الذي هم فيه، فلا ينفع معهم هذا التخويف المستمر، لأنَّهم في الطغيان يعمهون، ولتنامي هذا الطغيان وزيادته جاء التعبير متفقاً مع الصيغة التي تحمل سمة التجدّد والإستمرار في التخويف وهي من روائع التعبير القرآنيّ.

وربّما يقول قائل: ما العبرة من التخويف إذا كان لا يزيدهم إلاّ طغياناً كبيراً، فالترك خير وأفضل؟ الجواب: ((إنّ الله سبحانه وتعالى أعلم بالأتقياء والأشقياء من أنفسهم، ولكنَّه لا يأخذ أحداً إلَّا بقولٍ أو فعل ظاهر ومحسوس ومن أجل هذا يأمر وينهي، ويبشر وينذر، والمؤمن يسمع ويطيع ويزداد إيقاناً وإيماناً، والشقيّ يزداد كفرا وعتوا ، ومعنى هذا أن التخويف والتحذير ليس سببا للعتو والطغيان بل كاشفا عمّا هو كامن في الأعماق من طغيان ، وزائد عما كان ظاهراً للعيان))[٤٥]، وهذا الأمر تشير إليه الآية المباركة

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية — العدد ٣ (أ) – المجلد ٤٣ – السنة ٢٠١٨

في قوله تعالى: **(وَإِذَا مَا** أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ**([التوبة:١٢٤-١٢٥]**، وعلى هذا الأساس يصرُّ الإمام الحسن(عليه السلام) على فضح هؤلاء في المحافل وعلى الملأ؛ لئلا يعطي لذوي الأراجيف مسوّغا بالطعن في الصالحين والتعدِّي عليهم بالسباب، وهم أكرم على الله من أُولئك الملعونين على لسان رسول رب العالمين(صلى الله عليه وآله وسلم)، وفي كتابه الكريم.

في سياق الحادثة ذاتها في محاججة الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) في مجلس معاوية أورد شاهداً قرآنياً آخرَ كان سببا في نزوله الوليد بن عقبة بن أبي معيط إذ قال الوليد بعد أن تعرض لأمير المؤمنين(عليه السلام): ((يا معاشر بني هاشم كنتم أول من دب بعيب عثمان ، وجمع الناس عليه ، حتى قتلتموه حرصا على الملك، وقطيعة للرحم، واستهلاك الأمة وسفك دمائها، حرصا على الملك، وطلبا للدنيا الخسيسة وحبالها، وكان عثمان خالكم فنعم الخال كان لكم، وكان صهركم فكان نعم الصهر لكم، قد كنتم أول من حسده وطعن عليه ثم وليتم قتله، فكيف رأيتم صنع الله بكم))[٤٦].

بعد ذلك ردَّ عليه الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام) بقوله: ((فوالله ما ألومك أن تبغض عليا وقد جلدك في الخمر ثمانين ، وقتل أباك صبرا بيده يوم بدر ، أم كيف تسبه فقد سماه الله مؤمنا في عشر آيات من القرآن، وسماك فاسقا، وهو قول الله عز وجل:**(أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ**([السجدة:١٨] وقوله: **(إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**([الحجرات:٦] وما أنت وذكر قريش ، وإنَّما أنت ابن عليج من أهل صفورية يقال له : ذكوان.

وأمَّا زعمك أنا قتلنا عثمان ، فوالله ما استطاع طلحة والزبير وعائشة أن يقولوا ذلك لعلي بن أبي طالب ، فكيف تقوله أنت؟ ولو سألت أمك من أبوك إذ تركت ذكوان فألصقتك بعقبة بن أبي معيط ، اكتست بذلك عند نفسها سناء ورفعة مع ما أعد الله لك ولأبيك وأمك من العار والخزي في الدنيا والآخرة ، وما الله بظلام للعبيد))[٤٧]، وفي سبب نزول هذه الآية يذكر الطبري(٣١٠هـ) أنَّها ((نزلت بالمدينة ، في علي بن أبي طالب، والوليد بن عقبة بن أبي معيط كان بين الوليد وبين علي كلام ، فقال الوليد بن عقبة : أنا أبسط منك لسانا، وأحد منك سنانا، وأرد منك للكتيبة، فقال علي: اسكت ، فإنك فاسق، فأنزل الله فيهما: **(أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ**))[٤٨]، وسمي الوليد بعد هذه الآية في حياة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) الفاسق، ولا يعرف إلَّا بهذه الصفة، وكان مذموماً عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويشنؤه ويعرض عنه، وكان الوليد أيضاً يبغض النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)[٤٩].

لو عدنا إلى النص القرآنيّ لوجدنا أنّ دلالة الفسوق قابلت الإيمان فأصبح الفاسق وبحسب التعبير القرآنيَّ خارجاً عن دائرة الإيمان بلحاظ الدلالة الإفراديَّة في السياق (مؤمناً) و(فاسقاً) وهذه المقابلة تفضي إلى عدم التساوي في المنزلة والشرف والمثوبة، وبقية الصفات المرتبطة بالإيمان وجاءت هذه المقابلة مؤكدة بقوله تعالى: **(لَا يَسْتَوُونَ)**، بنفي المساواة بينهما في حكم الله الحكم العدل، ضف إلى ذلك الالتفات بالعدول في الخطاب من الصيغة الإفراديّة إلى الجمع في الآية المباركة ولم يقل: لا يستويان فقد سلط

الضوء على المعنى في الصفات الإفراديّة الواردة في كل من (مؤمناً) و(فاسقاً) سواء أكانت هذه المطابقة في الذوات المقصودة التي كانت سبباً في النزول أم في غيرهم على نحو المصداق، لأن التعبير القرآنيّ جعل من أمير المؤمنين (عليه السلام) مصداقاً لصفة الإيمان، والوليد بن عقبة للفسوق وهو ما أراد التركيز عليه الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) في قوله.

هناك ملمح دقيق في العدول من صيغة المفرد إلى صيغة الجمع في قوله تعالى:**(لَا يَسْتَوُونَ)**، ولم يقل: لا يستويان تجعل من الآية المباركة في المصداقين اللذين كانا سببا في النزول يجريان مجرى المثل؛ لما في التعبير القرآني من مميزات تتصف بالشموليَّة والعموم على نحو الإطلاق هذا من جهة، ومن جهة أخرى قد يراد المعنى الحقيقي في المطابقة مابين(مؤمنا)و (فاسقا) ومابين الجمع في **(لَا يَسْتَوُونَ)**؛ لكون المثنى أقل الجمع، فدلالة الجمع في هذا السياق أخذت بعداً عاماً، زد على ذلك النفي بـ(لا) توكيداً في إنكار نفي المشابهة بينهما(٥٠).

إنّ القيم التعبيرية يمكن أن نستشفها بوساطة السياق ومدى تعالق الألفاظ ببعضها، إضافة إلى ما للنظم وما فيه من جماليات فنّية وتعبيريَّة، فعلى سبيل التمثيل الاستفهام الوارد في سياق هذه الآية المباركة وما له من ملامح دلالية في تقرير وبيان حال المخصوصين بسبب النزول، فأمير المؤمنين (عليه السلام) الذي لا يختلف اثنان على إيمانه وتفانيه في ذات الله وتصديقه لنبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) وملازمته للطاعات، وأيضاً الوليد وما كان يحمله من موبقات لا تعدُّ ولو لم يكن إلا قول الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام) لكفاه خزياً وذلاً، فجاء الاستفهام التقريري أداة لتوكيد الحال فيهما ومطابقة للصفات المذكورة في الآية المباركة لظهور الأمر على مستوى الأفعال، فباتت دلالة الإستفهام جليَّة واضحة لا تحتاج إلى مزيد من الأدلَّة للتثبت من المصداقين، وبهذا المعنى يكون الاستفهام التقريري مختزلاً لكلِّ المعاني الإيجابيَّة والسلبيَّة في طرفي الإيمان والفسوق، ويكون هذا الاستفهام كمعادلة ضدية بين ((مَن هو مصدق بالله على الحقيقة، عارفاً بالله وبأنبيائه، عاملاً بما أوجبه الله عليه، وندب إليه، مثل من هو فاسق، خارج عن طاعة الله، مرتكب لمعاصي الله))(٥١).

ومن اللافت للنظر في سياق الآية المباركة إيراد لفظي (المؤمن) و(الفاسق) بصيغة النكرة، ومع الرجوع إلى سبب النزول يتبين أن المراد من اللفظين التقيد بشخصين معلومي الحال عند المسلمين ينطبق على كل منهما الصفة الواردة وصارت مصداقاً ثابتاً فيهما، ولم يُقصد الإطلاق والعموم في كل من آمن، أو من اتّصف بالفسوق، وبهذا الملحظ الروائيّ الذي أثبته الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام)، وسلّط الضوء على سبب النزول يمكن حمل دلالة الصيغة النكرة هنا في التخصيص، فتجعل كلا من أمير المؤمنين (عليه السلام)، والوليد مصداقاً مطابقاً على نحو الثبوت، فكون صفة الإيمان يراد منها التعظيم، والفسوق للتحقير.

زد على ذلك إنَّ في الصيغة النكرة توكيد على تجلّي هذه الصفة وثبوتها على نحو المكاثرة في الأفعال، والسيرة، وهذا الأمر مطلب إلهي ينبغي أن يكون نهجاً للاحق والمقتدي بسيرة الأولياء، ونبذ

الأفعال القبيحة بغض النظر عن الشخوص، فيكون الأول مشعل هداية والآخر طريق ضلال.

وفي موضع آخر من هذه المحاججة الطويلة يورد الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام) مصاديق أخرى لآيات نزلت في خصوم النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، ومنها المتعلق بالشانئ في سورة الكوثر بعد أن تكلَّم عمرو بن العاص وقال: ((إي يا ابن أبي تراب! بعثنا إليك لنقررك أن أباك سم أبا بكر الصديق، واشترك في قتل عمر الفاروق، وقتل عثمان ذا النورين مظلوما، فادعى ما ليس له بحق، ووقع فيه –وذكر الفتنة وعيره بشأنها– ثم قال: إنكم يا بني عبد المطلب! لم يكن الله ليعطيكم الملك فترتكبون فيه مالا يحل لكم، ثم أنت يا حسن تُحدِّث نفسك بأنَّك كائن أمير المؤمنين، وليس عندك عقل ذلك، ولا رأيه، فكيف وقد سلبته، وتركت أحمق في قريش وذلك لسوء عمل أبيك، وإنّما دعوناك لنسبك وأباك، ثم أنت لا تستطيع أن تعتب علينا، ولا أن تكذبنا في شيء به، فإن كنت ترى أنا كذبناك في شيء وتقولنا عليك بالباطل، وادعينا خلاف الحق فتكلم، وإلَّا فاعلم أنَّك وأباك من شر خلق الله. أمَّا أبوك فقد كفانا الله قتله وتفرد به، وأمَّا أنت فإنَّك في أيدينا نتخير فيك، والله أن لو قتلناك ، ما كان في قتلك إثم عند الله ، ولا عيب عند الناس)) [٥٢].

ردَّ عليه الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام) إذ قال: ((وأما أنت يا عمرو بن العاص الشانئ اللعين الأبتر ، فإنَّما أنت كلب، أول أمرك أمك لبغية، وإنك ولدت على فراش مشترك ، فتحاكمت فيك رجال قريش منهم أبو سفيان بن حرب، والوليد بن المغيرة، وعثمان بن الحارث، والنضر بن الحارث ابن كلدة، والعاص بن وائل كلهم يزعم أنك ابنه، فغلبهم عليك من بين قريش ألأمهم حسبا، وأخبثهم منصبا، وأعظمهم بغية.

ثم قمت خطيبا وقلت: أنا شانئ محمد، وقال العاص بن وائل: إن محمدا رجل أبتر لا ولد له ، فلو قد مات انقطع ذكره، فأنزل الله تبارك وتعالى **﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾**[الكوثر:٣] فكانت أمك تمشي إلى عبد قيس لطلب البغية، تأتيهم في دورهم ورحالهم وبطون أوديتهم، ثم كنت في كل مشهد يشهد رسول الله عدوه أشدهم له عداوة وأشدهم له تكذيبا. ثم كنت في أصحاب السفينة الذين أتوا النجاشي، والمهرج الخارج إلى الحبشة في الإشاطة بدم جعفر بن أبي طالب وسائر المهاجرين إلى النجاشي، فحاق المكر السيئ بك، وجعل جدك الأسفل وأبطل أمنيتك، وخيب سعيك، وأكذب أحدوثتك وجعل كلمة الذين كفروا السفلى، وكلمة الله هي العليا.

وأمَّا قولك في عثمان، فأنت يا قليل الحياء والدين ألهبت عليه نارا ثم هربت إلى فلسطين تتربص به الدوائر، فلما أتتك خبر قتله حبست نفسك على معاوية فبعته دينك يا خبيث بدنيا غيرك، ولسنا نلومك على بغضنا، ولا نعاتبك على حبنا وأنت عدو لبنى هاشم في الجاهلية والإسلام، وقد هجوت رسول الله صلى الله عليه وآله بسبعين بيتا من شعر فقال (رسول الله صلى الله عليه وآله) : اللهم إني لا أحسن الشعر ولا ينبغي لي أن أقوله، فالعن عمرو بن العاص بكل بيت ألف لعنة. ثم أنت يا عمرو المؤثر دنيا غيرك على دينك أهديت إلى النجاشي الهدايا، ورحلت إليه رحلتك الثانية، ولم تنهك الأولى عن الثانية كل ذلك ترجع مغلولا حسيرا تريد بذلك هلاك جعفر وأصحابه، فلما أخطأك ما رجوت وأملت أحَلتَ على صاحبك عمارة بن الوليد))[٥٣].

سبب نزول سورة الكوثر يتلخَّص في أنَّ العاص بن وائل السهميّ لمَّا رأى رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية – العدد ٣ (أ) – المجلد ٤٣ – السنة ٢٠١٨

وهو يخرج من المسجد فالتقيا عند باب بني سهم وجرى بينهما حديث، وكان هناك جمع من قريش جلوس في المسجد، فلمَّا دخل عليهم العاص قالوا: من كنت تتحدث معه؟ قال: ذلك الأبتر[٥٤]، وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله بن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو من خديجة(رضوان الله عليها)، فنزلت سورة الكوثر:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ **(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ)**[الكوثر:١-٣]، وقيل نزلت في عمرو بن العاص[٥٥]، وهو الذي قال: أنا الشانئ لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد هجا النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) هجاءً كثيرا فكان يحفظ أبياته صبيان مكة فينشدونه ويصيحون برسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) إذا مرَّ بهم، فيرفعون أصواتهم بتلك الأبيات التي نسجها عمرو بن العاص، فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يصلي بالحجر : اللهم إنَّ عمرو بن العاص هجاني، ولستُ بشاعر، فالعنه بعدد ما هجاني[٥٦].

يُذكِّر الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام) عمرو بن العاص بهذه الآية **(إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ)**، وبسبب نزولها، ومواقفه تجاه جده النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم) وبما أقرَّه هو على نفسه بالشنآن والبغض للنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ومن هذا المنطلق تثبت الآية المباركة الحكم والجزاء من الله(سبحانه وتعالى) بالبعد عن مناهل الخير والقطع عن رحمته من كل خير؛ لما في دلالة لفظة(الأبتر) من ظلال إيحائية[٥٧]، ولأنَّ هذا العدو وصف النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بالقلَّة والذلَّة، ونفسه بالكثرة والعزّة، فقلب الله عليه الأمور وصار الذليل من أذله الله، والكثرة والعزة لمحمد(صلى الله عليه وآله وسلم)، وبما أنَّ هذا الذي أبغضه لا يقدر على شيء آخر فسيحترق قلبه غيظاً وحسداً، ولن يعرف لطعم الراحة من سبيل[٥٨]، وهذا يعدُّ جزءا من الإذلال والعقوبة الدنيويَّة للمبغض.

البغضُ والحقدُ والشنآن مراتبٌ[٥٩]، تعدُّ من نوازع النفس، فالآية الكريمة ترتب على الشانئ أثراً في بغضه وإن كان لم يظهر بغضه بقولٍ أو فعلٍ نتيجة لما يضمره في نفسه، وفي هذا المقام الرادع تعظيم لشأن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وتكريمه وحياطة له لضمان عدم التعدّي عليه ولو بما تضمره النفس، والسبب يعود إلى أنَّ الله(سبحانه وتعالى) جعل منه منبعاً للفيوضات الإلهيَّة والألطاف الربانيَّة وبمجرد حمل النفس على بغضه فهو يوجب البعد عن ذلك المنهل العذب والمنبع الهادر بالخير والعطاء، ويجعل من المبغض أبتراً في الدنيا والآخرة، فلا يبقى له أثرٌ يُذكر إلَّا ما خبأه وأظهره الله عليه.

ودلالة السياق في التعبير القرآنيّ في هذا الموضع **(إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ)**، اتّفقت مع خطاب الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام) وألقت بظلالها على دلالة التخصيص للشنآن على نحو الظهور في البغض، لا الإضمار في النفس فقط، عبر تذكره بقوله: ثم قمت خطيبا وقلت : أنا شانئ محمد!!! ومن هنا يتبين أن دلالة الشنآن أقصى غاية البغض بعد إعلانها وظهورها في الأفعال والأقوال، وتذكير الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام) لعمرو بن العاص إنما هو تقرير أراد منه تحقير المخاطب بعد أن أقرَّ هو على نفسه هذا البغض وترجمه في أشعاره وأقواله، ومن هنا تكون دلالة الشنآن مخصوصة في ظهور الأقوال والأفعال بلا مماراة أو تورية في قول أو فعل، وإنما تكون بإعلان الموقف بكل وقاحة ولا سيّما إذا كان مع الصالحين ، وعمرو بن العاص يكون مصداقا آخر لموقف العاص بن وائل.

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٣ (أ) - المجلد ٤٣ - السنة ٢٠١٨

ولو أمعنا النظر في دلالة الشنآن لتبين أنَّها تحمل معنى البغض مع الكراهة التي تستلزم التجنب والإبتعاد[٦٠]، فيكون الشنآن أقصى غاية البغض الذي يكون ظاهراً، من هنا يمكن أن نفهم حجم المعاناة التي كانت تواجه النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ودعوته من هؤلاء، وربما لم تكن هذه العداوة لشخص النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بذاته لما كان يتميز به من صفات وخصال فشخصهُ كان محببا في النفوس، وإنَّما كان الشانئون يبغضون ما جاء به من الهدى ويمقتونه[٦١]، وقد يكون البغض فيه خاصة لأنَّة يمثل الخير المحض، ونفوس أولئك جبلت على الشر والباطل، ومن هنا جاء خطاب البارئ (عز وجل) في سورة من سور القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾، تدرأ عن نبيه قول هذا الشانئ وغيره، وتسلي قلبه بعطاء غير مجذوذ ولا محدود فيكون هذا العطاء عنصرا موازيا، أو يفوق حجم الضغط النفسي الذي كان يعانيه النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) من أولئك الذين كانوا ينعتوه بالأبتر مستغلين دماثة خلقه وصبره عليهم.

وبما أنَّ الشنآن هو من مبتنيات النفس التي قد تكون أحياناً مضمرة أو ظاهرة لا تخرج إلى الأفعال لم يرتب النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) أثرا على بغض أولئك أمثال العاص وعمرو وغيرهم، ولكنَّ الله(سبحانه وتعالى) أنبأ عن نتيجة هذا البغض وخطره بوصفه سلوكا يتجسَّد تجاه الصالحين فجعل من رادع القطع في(أبتر) إظهار الحب من جهة السماء مع الأولياء وتكريمهم، وإنباء بجانب غيبي مهم في العطاء الإلهي، والتعريف بالعقوبة التي ستحل بشانئي النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم) وليس هذا فحسب ، وإنَّما قد يتبادر إلى الذهن أنَّ حسابات هؤلاء بزوال الدعوة التي يحملها ستزول بموته وسينقطع ذكره وعقبه؛ فأشاعوا هذا القول: بأنَّه أبتر، إلَّا أنَّ الله (سبحانه وتعالى) أخبر بعطائه هذا الذي سيبقى مع رسالته وأنَّ مبغضيه هم من سيكتب لهم الانقطاع والزوال ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾، وبهذا المعنى كان ردّ الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام) قويّاً على خصومه؛ لكونه يمثّل الامتداد الطبيعي له والوريث لذلك النهج العظيم.

وملاءمة السياق لقضية النسل والنماء فيه مما لا يوجب كثرة الإستدلال والخوض فيه فإنَّ ((كثرة ذريته صلى الله عليه وآله وسلم هي المرادة وحدها بالكوثر الذي أعطيه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أو المراد بها الخير الكثير وكثرة الذرية مرادة في ضمن الخير الكثير، ولولا ذلك لكان تحقيق الكلام بقوله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾خاليا عن الفائدة. وقد استفاضت الروايات أن السورة إنَّما نزلت فيمن عابه (صلى الله عليه وآله وسلم) بالبتر بعد ما مات ابناه القاسم وعبد الله، وبذلك يندفع ما قيل: إنَّ مراد الشانئ بقوله: (أبتر) المنقطع عن قومه أو المنقطع عن الخير فردَّ الله عليه بأنَّه هو المنقطع من كل خير. ولما في قوله:_﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾من الامتنان عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) جيء بلفظ المتكلم مع الغير الدال على العظمة؛ ولما فيه من تطييب نفسه الشريفة أُكدت الجملة بإنَّ وعبر بلفظ الإعطاء الظاهر في التمليك. والجملة لا تخلو من دلالة على أنَّ ولد فاطمة (عليها السلام) ذريته (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهذا في نفسه من ملاحم القرآن الكريم فقد كثر الله تعالى نسله بعده كثرة لا يعادلهم فيها أي نسل آخر مع ما نزل عليهم من النوائب وأفنى جموعهم من المقاتل الذريعة))[٦٢].

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٣ (أ) – المجلد ٤٣ – السنة ٢٠١٨

ولو عدنا إلى دلالة صيغة اسم الفاعل في **شَانِئَكَ** لوجدناها ربما تلمح إلى سمة العموم والشمول في من اتصف بهذه الصفة على نحو الثبات، فتكون خصلة من خصال صفاته وسلوكه تجاه النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) حينها يترتَّب عليه الأثر ذاته بقطع النسل والخير عنه، وبما أنَّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) موضع رحمة الله فلابد من إبعاد الشانئ عن دائرة الرحمة، ويكون مطرودا منها لا بعامل خارجي وإنما بسبب نازع نفسي حمله الشانئ نفسه، وبهذا الملحظ يمكن القول إنَّ مبغض النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) يكون أبترَ مقطوعا من الخير والعقب كائنا من كان، ولهذا نجد الإمام الحسن (عليه السلام) يفصل في الحديث عن أم عمرو ابن العاص ومن تغشاها من الرجال.

جاءت لفظة(الأبتر) دالَّة على العموم مطلقا، وغير مقيدة بالذرية فقط، لكون مبغض النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) سيكون مقطوعا عن كل شيء ولذا لم يأتِ التعبير بقوله على سبيل التمثيل في غير القرآن الكريم: إنّ شانئك لا ذريَّة له، أو عقيم، أو غير ذلك، فجاء التعبير بالأبتر في قوله تعالى: **(إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ)**، ليشمل كل ما ينضوي تحت هذا العنوان العام في دلالة القطع وظلالها الإيحائيَّة، فمَن شنأ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) سيقطعه الله(سبحانه وتعالى) عن النماء والخير، وتبتر حياته ومستقبله فلا امتداد له ولا بقاء[٦٣]، سواء أكان عمرو بن العاص أم غيره، ومنه ملك بني أمية انقطع وصار مبتورا مذموما[٦٤]، ومن هنا يمكن أن تكون دلالة الآية المباركة مصداقا عاما.

سورة الكوثر انمازت بقصرها مع تشاكل المقاطع والفواصل وسهولة مخارج حروفها بحسن التأليف وتقابل المعاني، وتوظيف الالتفات من التكلم إلى المُخاطَب له جنبة جماليَّة في التعبير ففي قوله تعالى: **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ** أحسن من: صلِّ لنا، لأنَّ في لفظ الرب ما يناسب الصلاة بصفة الربوبيّة، و **الْأَبْتَرُ** أحسن من (الأخس)؛ لما في الأبتر من دلالات وإيحاءات على الكناية لما يضمر في النفس وما تظهره، وهذه الألفاظ القليلة وما لها من منزلة في النفس، إضافة إلى ما فيها من فخامة في اللفظ وجزالة في المعنى، وعظيم الفائدة بمعانيها[٦٥]، زيادة على ما فيها من صدق النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وصحة نبوته ومن هذه الأدلة: ((إحدها: إنَّه أخبر عما في نفوس أعدائه، وما جرى على ألسنتهم، ولم يكن بلغه ذلك، فكان على ما أخبر.

وثانيها: إنَّه قال: **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ** فانظر كيف انتشر دينه، وعلا أمره، وكثرت ذريته، حتى صار نسبه أكثر من كل نسب، ولم يكن شئ من ذلك في تلك الحال.

وثالثها: إن جميع فصحاء العرب والعجم، قد عجزوا عن الإتيان بمثل هذه السورة على وجازة ألفاظها مع تحديه إياهم بذلك، وحرصهم على بطلان أمره، منذ بعث النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى يومنا هذا. وهذا غاية الإعجاز.

ورابعها: إنَّه سبحانه وعده بالنصر على أعدائه، وأخبره بسقوط أمرهم، وانقطاع دينهم، أو عقبهم، فكان المخبر على ما أخبر به)) [٦٦].

وهل تقاس هذه السورة المباركة في معانيها السامية، وبلاغتها الكاملة بجمل نَظَمها المخذول مسيلمة الكذاب حين عارضها فقال: إنا أعطيناك الجماهر ، فصلِّ لربك وجاهر، إن مبغضك رجل كافر. وما في

السياقين من تفاوت عظيم يقرُّ به من له ذوق سليم، وأوتي نصيبا من العلم، فعلى سبيل التمثيل الأبتريَّة وما فيها من دلالة القطع في الشيء وزواله أين هي من دلالة الكافر!! ، فالكافر ومن وصف النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بوصف آخر بحرمانه من الولد، وأنه لا معين له ولا ناصر، في دلالة الأبتر لا يبقى له ذكر ولا أثر، وقد مدح الله نبيه الكريم(صلى الله عليه وآله وسلم) في سورة الكوثر أيَّما مدح أدخل فيه كل الفضائل[٦٧].

ولو عدنا إلى سياق الآية المباركة لوجدنا في الضمير(هو) في قوله تعالى: **﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾**(دلالة التوكيد[٦٨]، والقطع في الحكم النازل بالشانئ، زد على ذلك (إنَّ) ومتعلقها، ومجيء الجملة الاسميّة **﴿هُوَ الْأَبْتَرُ﴾**(خبرا لها وما فيها من دلالة الثبوت أيضا لعمري كلها دلالات توحي بعظيم الجرم وشدة الحكم بقطع الشانئ الذي لن يُترك له أثر، وهذا المقام ناسب مقام المحاججة التي جرت في مجلس معاوية(لع) بمحضر الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام) والتطاول عليه ، فجاءت لفظة الشانئ بإيحاء دقيق يفصح عن أمر هذا الخصم الذي لا يرعى أية حرمة، ولا يلتزم بأي أدب مع النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وذريته الطاهرة فناسب المقام سبب النزول على نحو المصداق.

وفي مقام آخر يشير الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) إلى مدّة حكم بني أمية بشاهدٍ قرآني يعزوه إلى جدّه المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) هو يخبر عن مدّة حكم بني أميّة في حادثة يرويها القاسم بن الفضل إذ ((قام رجل إلى الحسن بن علي[عليه السلام] فقال: سودت وجوه المؤمنين، فقال: لا تؤنبني رحمك الله فإنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد رأى بني أميّة يخطبون على منبره رجلاً فرجلاً فساءه ذلك فنزلت هذه الآية **﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾** نهر في الجنة، ونزلت **﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾**[القدر:١-٣] تملكه بني أمية قال القاسم فحسبنا ذلك فإذا هو ألف لا يزيد ولا ينقص))[٦٩].

وكان هلاك مروان في سنة (١٢٣هـ) وهو آخر خلفاء الدولة الأمويّة وأولهم معاوية بن أبي سفيان(لع) وكانت مدة خلافتهم نيفاً وثمانين سنة أي ما يقرب (٨٢) سنة وأربعة أشهر هي ألف شهر وبقتل مروان انقرضت دولة بني أمية لعنهم الله قاطبة[٧٠].

قد يُحتمل أن يراد من العدد (ألف شهر) دلالة طول المدة، لا العدد نفسه فيكون ((المعنى خير من الدهر كله؛ لأنّ العرب تذكر الألف في غاية الأشياء كلها، قال تعالى **﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾**[البقرة:٩٦] يعني جميع الدهر)) [٧١]، وإذا ما أُخذ بنظر الاعتبار استمرار قيام دولة بني أمية في بلاد الأندلس واستمرار بعض الدول نهجاً وفكراً في إقصاء مذهب أهل البيت(عليهم السلام) والتنكيل باتباعهم، فتكون دلالة الألف شهر على طول المدة، وهذا الأمر يكون على نحو المصداق لا غير، وأما الذي أشار إليه الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام) فمن باب التأويل الذي ناسب سبب النزول في الآية المباركة وهو ينقل عن جدِّه المصطفى(صلى الله عليه وآله وسلم).

وإيراد العدد بذاته يَثْبت بوجود القرائن والروايات الواردة عن أئمة أهل البيت(عليهم السلام) وغيرهم، إضافة إلى ما ذكره الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام)، الذي يفضي إلى أنّ المراد من (الألف) شهر العدد بذاته لا الكثرة، وهذا ما يناسب قيام دولة بني أمية وزوالها بقتل مروان[٧٢].

هناك من يطعن بالروايات التي تشير إلى أنَّ الألف شهر المراد بها مدة حكم بني أميَّة، لأنّه تعالى لا يذكر فضل هذه الليلة بذكر ألف شهر مذمومة وأيام بني أمية كانت مذمومة، فيرد الفخر الرازي على هذا الطعن بقوله: ((واعلم أنّ هذا الطعن ضعيف، وذلك لأنّ أيام بني أمية كانت عظيمة بحسب السعادات الدنيويَّة، فلا يمنع أن يقول الله تعالى إني: أعطيتك ليلة هي في السعادات الدينية أفضل من تلك السعادات الدنيويّة))[٧٣].

ومع إمكانية مطابقة الآية لما جاء به الإمام الحسن (عليه السلام) فهناك ملامح للبشارة العظيمة في هذه الآية والذي يجب الوقوف عنده وهو ذكر الخير فيها **(خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ)**، ولم يبين قدر الخير وهذا كقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ((لمبارزة علي (عليه السلام) مع عمرو بن عبد ود العامري أفضل من عمل أمتي إلى يوم القيامة، فلم يقل: مثل عملهِ، بل قال: أفضل، كأنَّه يقول: حسبك هذا من الوزن والباقي جُزاف))[٧٤]، فدلالة التنكير **(خَيْرٌ)** في سياق الآية المباركة أخذت بُعداً جماليّاً آخرَ في تعظيم الأجر ومضاعفته في مقابل من كان مصداقا لتأويل الألف شهر في قول الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام).

وهناك ملمح دلاليّ آخر يمكن أن نستشفه من سياق هذه الآية المباركة وهو التهديد والوعيد لمرتكبي الذنوب الكبيرة ودخولهم النار، وإنْ أحيوا ليلة القدر ذات الأجر العظيم والخير العميم، فمرتكب تلك الذنوب وإنْ أدرك ليلة القدر التي تعدُّ بألف شهر لا تُخلِّصه من ذلك العذاب المستحق مقابل الذنب المرتكب، وفي هذه الدلالة المخبوءة والإيحاء فيها إشارة إلى تعظيم حال الذنب والمعصية[٧٥].

أضف إلى ذلك في دلالة **(خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ)** تخصيص الأفضلية في تلك الليلة دون سواها والألف شهر في سياق الآية المباركة من الشهور التي لا ليلة قدر فيها وهذا الملمح آكد في التعظيم وزيادة في التشويق لما أعدّه الله لعباده ثواباً على الطاعات، زِد على ذلك الاستفهام في قوله تعالى: **(وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ)**، وهذا الإستفهام حمل دلالة التعظيم لشأن هذه الليلة وتفخيم قدرها على أنّ ثواب الطاعة في هذه الليلة خير من ثواب كل طاعة تفعل في ألف شهر ليس فيها ليلة قدر، وهذا المعنى الظاهري لا يتعارض مع المعنى الباطني في تأويل الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) لهذه الآية المباركة، فعظيم الأجر الذي أعدّه الله لعباده ووعدهم به لهو من لطفه سبحانه وتعالى، والمعنى الآخر في تأويل هذه الآية يتَّفق أيضاً مع ما أعدّه الله لأوليائه ويفوق الألف شهر من السعادات الدنيويَّة الزائلة والتي تمتع بها أئمة الجور والضلال وإلى الله سترد عاقبة الأمور **﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾**[الشعراء:٢٢٧]، وقال تعالى: **﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾**[القصص:٨٣]، وبهذا المعنى يكون الإمام الحسن (عليه السلام) سلط الضوء على صفحة مظلمة مليئة بالجور والاضطهاد للمؤمنين.

الهوامش

(١)الأمالي: الشيخ الطوسي: ٥٦١- ٥٦٢، والغدير: الشيخ الأميني: ١/ ١٩٨.
(٢)ينظر: قولُ رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) : " أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلَّا أنَّه لا نبيَّ بعدي " في الكافي، للشيخ الكلينيّ:١٠٧/٨، و معاني الأخبار، الشيخ الصدوق: ٧٤، والإرشاد، الشيخ المفيد:٨/١.
(٣)ينظر: خصائص أمير المؤمنين(ع)، النسائي: ٦٣، وتفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي: ٥/ ٢١١، وكنز العمال، المتقي الهندي:٤١٧/٢.
(٤)ينظر: تفسير أبي السعود: ٤/ ١٩٥.
(٥) تفسير الفخر الرازي: ١٧/ ٢٠٩.
(٦)ينظر: الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة، محمود صافي: ٦/ ٢٣٧.
(٧)ينظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ٢٧١ (شهد).
(٨)الإرشاد: ٨/٢، الأمالي الشيخ الطوسي: ٢٧/ مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٣٢-٣٣، والمستدرك، الحاكم النيسابوري: ٣/ ١٧٢.
(٩)ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤٩/٩، وزبدة التفاسير، الكاشاني: ٦/ ٢١٩.
(١٠)منهاج البراعة في شرح في شرح نهج البلاغة،حبيب الله الخوئي:١٩٩/٦، وينظر: الكشاف، الزمخشري: ٤٠٦/٥، تفسير الفخر الرازي: ١٦٥/٢٧-١٦٦.
(١١)الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي: ١٨/ ٤٨.
(١٢)ينظر: تفسير الفخر الرازي: ١٦٧/٢٧.
(١٣)ينظر: الكشاف: ٤٠٦/٥.
(١٤)ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٤١٧ (قرف).
(١٥)التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ١٥٩/٩، تفسير البحر المحيط: ٤٩٤/٧.
(١٦)ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٤٤٩ (كسب).
(١٧)ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن مصطفوي: ٢٤٦/٩ (قرف).
(١٨)تفسير البحر المحيط: ٤٩٤/٧.
(١٩) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السَّمين الحلبي: ٥٥١/٩.
(٢٠)مجمع البيان في تفسير القرآن: ٣١٥/١٠، وينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٣١٦/١٠، جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر: ٢/ ١٥٥، بحار الأنوار، المجلسيّ: ٨٦/ ٢٦٣.
(٢١)التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية: ٧/ ٤٥٤، وينظر: تفسير الرازي: ٣١/ ١١٥، وشرح أصول الكافي، محمد صالح المازندراني: ٩٤/٧- ٩٥.
(٢٢)ينظر: السنن الكبرى، النسائي: ٦/ ٥١٢، والمعجم الصغير، الطبراني: ١٣١/٢، جمع الزوائد، الهيثمي: ١٣٥/٧- ١٣٦.
(٢٣)ينظر: زبدة التفاسير:٢٣٢/٧.
(٢٤)ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٢٧ (شهد)، والأقسام في القرآن الكريم، الشيخ السبحاني: ٥٢.
(٢٥)ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ١٣٣/٦ (شهد).
(٢٦)ينظر: نفسه والصفحة نفسها.
(٢٧)ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي: ٨٢/٢٠.
(٢٨)ينظر: المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها.
(٢٩)الميزان في تفسير القرآن: ٢٤٩/٢٠.
(٣٠)نفسه والصفحة نفسها.
(٣١)إعراب القرآن الكريم وبيانه،محيي الدين الدرويش:٢٦٨/٨،وينظر:الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل،بهجت عبدالواحد صالح:٣٩٧/١٢.
(٣٢)ينظر:صلح الحسن(عليه السلام)، الشيخ راضي آل ياسين:١٨٩ وما بعدها.
(٣٣)ينظر:الحسن بن علي(عليه السلام) الإمامة المنسيَّة، صالح الطائي:٣٩٥/٢ وما بعدها.
(٣٤)ينظر:الحجاج والبرهان، رشيد الراضي، منشور في (الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية محكمة في الخطابة الجديدة) لمجموعة من المؤلفين:٤٣١.
(٣٥)ينظر: بحار الأنوار: ٤٤/ ٧٠- ٨٧.
(٣٦)المصدر السابق: ٨٦/٤٤- ٨٧.
(٣٧)ينظر: شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، الحاكم الحسكاني: ٤٥٧/٢، وتفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، الشيخ محمد القمي: ٤٣٧/٧.
(٣٨)ينظر: حقائق التأويل: ١٩٢، ومجمع البيان في تفسير القرآن: ٦/ ٢٦٦، وتفسير العياشي: ٢/ ٢٩٧، والدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي: ٤/ ١٩١، والبرهان في تفسير القرآن، هاشم البحراني: ٣/ ٥٤٢، فتح التقدير، الشوكاني: ٣/ ٢٤٠.
(٣٩)مجمع البيان في تفسير القرآن: ٦/ ٢٦٦.
(٤٠)ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٩/ ٤١.
(٤١)الميزان في تفسير القرآن: ١٣/ ١٣٧.
(٤٢) ينظر: نفسه: ١٣/ ١٣٨.

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٣ (أ) – المجلد ٤٣ – السنة ٢٠١٨

(٤٣)ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ٢٠١/١٠ (لعن).
(٤٤)ينظر: نفسه: ١٩/٦.
(٤٥)التفسير المبين، محمد جواد مغنية: ٣٧٢.
(٤٦)بحار الأنوار: ٧٢/٤٤-٧٣.
(٤٧)بحار الأنوار: ٨١/٤٤-٨٢.
(٤٨)جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري: ١٢٩/٢١- ١٣٠. وينظر: المعارف، ابن قتيبة الدنيوري: ٣١٩، معاني القرآن، النحاس: ٥/ ٣٠٦- ٣٠٧، وتفسير السمرقندي: ٣/ ٣٥، والاستيعاب، ابن عبد البر: ٤/ ١٥٥٤، وأسباب نزول الآيات، الواحدي النيسابوري: ٢٣٥- ٢٣٦، وتفسير السمعاني: ٤/ ٢٥١، مجمع البيان في تفسير القرآن: ٨/ ١٠٩، وشرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٣/ ١٨، والطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، ابن طاوس: ١٠١، والبرهان في تفسير القرآن: ٤/ ٣٩٧، وغيرها من كتب التفسير والسير.
(٤٩)ينظر: شرح نهج البلاغة: ٤/ ٨٠- ٨١.
(٥٠)ينظر: تفسير أبي السعود: ٨٥/٧.
(٥١)مجمع البيان في تفسير القرآن: ١٠٩/٨.
(٥٢)بحار الأنوار: ٧٢/٤٤.
(٥٣)بحار الأنوار:٨٠/٤٤-٨١. وينظر: المحصول، الفخر الرازي:٣٤١/٤-٣٤٢، وتفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب:٤٦٧/١٤.
(٥٤)ينظر:مجمع البيان في تفسير القرآن:٤٥٩/١٠، وتفسير مقاتل بن سليمان:٥٢٨/٣، والكشف والبيان عن تفسير القرآن(تفسير الثعلبي):٣٠٧/١٠.
(٥٥)ينظر: شرح نهج البلاغة:٢٨٢/٦.
(٥٦)ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(٥٧)ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ٢٠٩/١(بتر).
(٥٨)ينظر: تفسير الفخر الرازي:١٣٤/٣٢.
(٥٩)ينظر: فقه اللغة وسرّ العربيّة، الثعالبي:١٢٩.
(٦٠)ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم:١٢٥/٦(شنأ).
(٦١)ينظر:التفسير الكاشف:٦١٧/٧.
(٦٢) الميزان في تفسير القرآن:٣٧٠/٢٠-٣٧١.
(٦٣)ينظر:تفسير سورة الكوثر، السيد جعفر مرتضى العاملي:٩٨-٩٩.
(٦٤)ينظر: تفسير الفخر الرازي:١٣٤/٣٢.
(٦٥)ينظر: التبيان في تفسير القرآن:٤١٩/١٠.
(٦٦) مجمع البيان في تفسير القرآن:٤٦١/١٠.
(٦٧)ينظر: تفسير الفخر الرازي:١٣٥/٣٢، والبيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي:٩٩.
(٦٨)ينظر: التبيان في إعراب القرآن ، أبو البقاء العكبري:٥٨٩/٢.
(٦٩)المعجم الكبير، الطبراني: ٩٠/٣، وينظر: المستدرك: ١٧٠/٣-١٧١، شرح نهج البلاغة: ٢٢٠/٩- ١٦/١٦، تفسير البحر المحيط: ٤٩٣/٨.
(٧٠)ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٧٩/١٠.
(٧١)تفسير البحر المحيط: ٤٩٣/٨.
(٧٢)ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ٣٤٥/٢٠.
(٧٣)تفسير الفخر الرازي: ٣١/٣٢.
(٧٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(٧٥)ينظر: نفسه والصفحة نفسها.

ثبت المصادر

١) القرآن الكريم.

٢) الإرشاد، الشيخ المفيد(٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت(ع) لتحقيق التراث، دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت، ط:الثانية، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

٣) أسباب نزول الآيات، الواحدي النيسابوري(٤٦٨هـ)، مؤسسة الحلبي، القاهرة، (د.ط)، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.

٤) الاستيعاب، ابن عبد البر(٤٦٣هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٣ (أ) – المجلد ٤٣ – السنة ٢٠١٨

٥) إعراب القرآن الكريم وبيانه ،محيي الدِّين الدَّرويش، اليمَامَة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، دمشق، ط: السابعة، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٦) الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، بهجت عبد الواحد صالح، دار الفكر للنشر والتوزيع، (د.ط)، (دت).

٧) الأقسام في القرآن الكريم، الشيخ جعفر السبحانيّ، مؤسسة الإمام الصادق(ع)، قم المقدَّسة، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ.

٨) الأمالي، الشيخ الطوسي(٤٦٠هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة- مؤسسة البعثة، دار الثقافة للنشر والتوزيع،قم المقدسة، ط:الاولى، ١٤١٤هـ.

٩) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازيّ، قسم الترجمة والنشر لمدرسة الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام)، قم المقدسة، (د.ط)، (د.ت).

١٠) بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسيّ(١١١١هـ)، دار الوفاء، بيروت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

١١) البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم الحسينيّ البحرانيّ(١١٠٧هـ)، تقديم: محمّد مهدي الآصفيّ، مؤسسة البعثة، قم المقدسة، (د.ط)،(د.ت).

١٢) البيان في تفسير القرآن، السيد أبو القاسم الخوئي، دار الزهراء، بيروت، ط: الرابعة، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

١٣) التِّبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحُسين بن عبد الله العكبريّ(٦١٦هـ)، ذوي القربى، قم، ط:الأُولى، ١٤٣٤هـ.

١٤) التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسيّ(٤٦٠هـ)، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العامليّ، مكتبة الإعلام الإسلاميّ، قم المقدسة-إيران، (د.ط)، ١٤٠٩هـ.

١٥) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، الشيخ حسن مصطفويّ، مؤسسة الطباعة والنشر-وزارة الثقافة والإرشاد الإسلاميّ، طهران، ط: الأولى، ١٤١٧هـ.

١٦) تفسير أبي السّعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمّد بن محمّد العماديّ(٩٥١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

١٧) تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي(٧٤٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود،والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

١٨) تفسير السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقنديّ(٣٨٣هـ)، تحقيق: د.محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

١٩) تفسير سورة الكوثر،السيد جعفر مرتضى العاملي، المركز الإسلامي للدراسات، بيروت، ط:الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٣ (أ) - المجلد ٤٣ - السنة ٢٠١٨

٢٠) تفسير السمعانيّ، أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني(٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس غنيم، دار الوطن، الرياض، ط:الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٢١) تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي(٣٢٠هـ)، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران، (د.ط)، (د.ت).

٢٢) تفسير الفخر الرازيّ المشتهر بالتفسير الكبير ومَفاتيح الغيب، محمّد الرازيّ فخر الدين بن ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الريّ(ت٦٠٤هـ)، دار الفكر، بيروت، ط: الأُولى، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

٢٣) التفسير الكاشف، محمّد جواد مغنية، ط:الثالثة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨١م.

٢٤) تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، الشيخ محمّد بن محمّد رضا القميّ المشهديّ(١١٢٥هـ)، تحقيق: حسين دركاهي، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلاميّ، طهران، ط: الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٢٥) التفسير المبين، محمد جواد مغنيّة، مؤسسة دار الكتاب الإسلاميّ، ط: الثانية، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٢٦) تفسير مقاتل بن سليمان، مقاتل بن سليمان(١٥٠هـ)، تحقيق:أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٢٧) جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي(٤٦٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، ١٣٩٨هـ.

٢٨) جامع البيان عن تأويل القرآن المعروف تفسير الطبريّ، للإمام أبي جعفر محمّد بن جرير الطبريّ، ضبط وتعليق: محمود شاكر، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط:الأُولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٢٩) الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة، تصنيف: محمود صافي، دار الرشيد، دمشق، ط: الثالثة، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٣٠) الحجاج والبرهان، رشيد الراضي، منشور في (الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية محكمة في الخطابة الجديدة) لمجموعة من المؤلفين، ابن النديم للنشر والتوزيع-الجزائر، ودار الروافد الثقافية-بيروت، ط: الأولى، ٢٠١٣م.

٣١) الحسن بن علي(عليه السلام) الإمامة المنسيَّة، صالح الطائي،قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة-دار الكفيل للطباعة والنشر، كربلاء المقدسة، ط: الأولى، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

٣٢) خصائص أمير المؤمنين(ع)، النسائي(٣٠٣هـ)، تحقيق: محمد هادي الأميني، مكتبة نينوى الحديثة، طهران، (د.ط)، (د.ت).

٣٣) حقائق التأويل، الشريف الرضي(٤٠٦هـ)، تحقيق: محمد رضا آل كاشف الغطاء، دار المهاجر، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

٣٤) الدُّر المَصون في عُلوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف المعروف بالسَّمين الحلبيّ(٧٥٦هـ)،

تحقيق:د.أحمد محمّد الخرَّاط، ، دار القلم ، دمشق، (د.ط)، (د.ت).

٣٥) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي(٩١١هـ)، دار المعرفة، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

٣٦) زبدة التفاسير، الملّا فتح الله الكاشانيّ(٩٨٨هـ)، مؤسسة المعارف الإسلاميّة، قم المقدسة، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ.

٣٧) السنن الكبرى، النسائي(٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

٣٨) شرح أصول الكافي، محمد صالح المازندراني(١٠٨١هـ)، تحقيق: أبو الحسن الشعراني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٣٩) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي(٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية- عيسى البابي الحلبي، (د.ط)، (د.ت).

٤٠) شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، الحاكم الحسكاني، تحقيق، الشيخ محمد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم المقدسة، ط: الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

٤١) صلح الحسن(عليه السلام)، الشيخ راضي آل ياسين، شركة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت،ط: الأولى، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

٤٢) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، السيد ابن طاوس(٦٦٤هـ)، الخيام، قم المقدسة، ط: الأولى، ١٣٩٩هـ.

٤٣) الغدير، الشيخ الأميني، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٧م.

٤٤) الكافي، الشيخ الكلينيّ(٣٢٩هـ)، تحقيق: علي أكبر غفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط: الرابعة، (د.ت).

٤٥) فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني(١٢٥٥هـ)، عالم الكتب، (د.ط)، (د.ت).

٤٦) فقه اللّغة وسرّ العربيّة، أبو منصور الثعالبيّ(٤٢٩هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهديّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط: الأولى، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

٤٧) الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشريّ الخوارزميّ(٥٣٨هـ)، مصححة على نسخة الدكتور عبد الرزاق المهري، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط: الأولى، (د.ت).

٤٨) الكشف والبيان عن تفسير القرآن(تفسير الثعلبيّ)، الثعلبيّ(٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٤٩) كنز العمال، المتقيّ الهنديّ(٩٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ بكري حياني، مؤسسة الرسالة، بيروت،

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٣ (أ) - المجلد ٤٣ - السنة ٢٠١٨

(د.ط)، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٥٠) مجمع البيان في تفسير القرآن،أبوعلي الفضل بن الحسن الطّبرسيّ(ت٥٤٨هـ) تقديم: السيد محسن الأمين العامليّ، مؤسسة الأعلميّ، بيروت، (د.ط)، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

٥١) جمع الزوائد، الهيثمي(٨٠٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٥٢) المحصول، الفخر الرازيّ(٦٠٦هـ)، تحقيق:د.طه جابر فياض العلوانيّ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:الثانية، ١٤١٢هـ.

٥٣) المستدرك، الحاكم النيسابوريّ(٤٠٥هـ)، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشليّ، (د.ط)، (د.ت).

٥٤) المعارف، ابن قتيبة الدينوريّ(٢٧٦هـ)، تحقيق: د. ثروت عكاشة، دار المعارف بمصر، ط: الثانية، ١٩٦٩م.

٥٥) معاني الأخبار الشيخ الصدوق(٣٨١هـ)، تحقيق:علي أكبر غفاريّ، مؤسسة النشر الإسلاميّ، قم المقدسة، (د.ط)،(د.ت).

٥٦) معاني القرآن، النحاس(٣٣٨هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٠٩هـ.

٥٧) المعجم الصغير، الطبرانيّ(٣٦٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، (د.ط).

٥٨) المعجم الكبير، الطبرانيّ(٣٦٠هـ)،تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفيّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط: الثانية، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٥٩) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهانيّ(٥٠٢هـ)، تحقيق ومراجعة: محمّد خليل عيتانيّ، دار المعرفة، بيروت، ط:الخامسة، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٦٠) مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني(٣٥٦هـ)، تحقيق: كاظم المظفر، المكتبة الحيدريّة، النجف الأشرف، ط: الثانية، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م.

٦١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة،حبيب الله الهاشمي الخوئيّ، تحقيق: سيد إبراهيم الميانجي، المطبعة الإسلامية، طهران، ط: الرابعة، (د.ت).

٦٢) الميزان في تفسير القرآن، السيد محمّد حسين الطباطبائيّ، مؤسسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلميّة، قم المقدسة، (د.ط)، (د.ت).